A L - J A W F

رواية
NOVEL

الجوف

أحمد دهر

مكتبة سومر
16.8.2017
Telegram: SOMRLIBRARY

الجوف

Telegram: SOMRLIBRARY

الجوف
AL Jawf

أحمد دهر

الطبعة الأولى: بيروت ـ لبنان، 2017
First Edition: Beirut - Lebanon, 2017

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق
All rights reserved, is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book, or part thereof, or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording, or storage and retrieval, without written permission from the rights holders

لبنان ـ بيروت / الحمرا
تلفون: 751055 1 961+ / 541980 1 961+

daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar.alrafidain1
DAR ALRAFIDAIN@maassourati

تنويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.
ISBN: 978 - 1 - 77322 - 094 - 9

Telegram: SOMRLIBRARY

رواية

الجوف

أحمد دهر

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

الإهداء

إلـــيـــهـــا.... وإلـــيـــكـــم...

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

أهذه هي الحياة التي كنتُ أركل بطن أمي لإجلها...!

جبران خليل جبران

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

قبل البدء

انا أقف هنا بين مفترق الطرق

معلقاً بين السماء والأرض...!

هل أنزل...؟ أم أصعد...؟

وأين النجاة..؟

فالصعود قد يرمني الى الأرض وألقى حتفي...

والنزول قد يرميني الى جوف الجحيم...

لا أستطيع البقاء معلقاً أكثر..! فقوتي تضاءلت، ويداي تعبت من التعلق على حبل الألم...

فراشة أنا والريح عاتية، نملة وصوت ركض الخيل يقترب مني..!

أنا أقف بين الموت والموت.... لا طريق للنجاة ولا شعاع ضوء يريني منفذ النجاة.

قبل التعلق كنتُ سراباً وشيء محتمل...، أحداً سأصبح ظالماً لهُ والآخر مظلوماً منهُ

Telegram: SOMRLIBRARY

ليتني بقيتُ سراباً..! فالاختيار صعب ومكاني يشتت أفكاري ويتوهني لاختيار الاتجاه الأنسب..!

محشوراً في مكان ضيق والظلام يلفني، وكل ما حولي يعصر على صدري

حولي الجحيم... البرق... الرعد... الصواعق... وقليلاً من خير المطر..

أنا في بركان والأبابيل فوقي وأنا أمضغ سجيلهُ...

التسلق أمرٌ مستحيل والنزول يحتاج الوقت المناسب وانا بين هذا وذاك أستقبل الضربات واللعنات ولا حيلة لدي للخلاص الأن...!

تمر الأيام وجناحي تجابه الريح فترمي بي شمالاً ويميناً... وتغزو روحي العبرات وأنا أداعب الجراح بأناملي..

يهمس في أذني أحداً ويخبرني بإني يجب أن أشطر نصفين..!

نصفاً يصعد الى أعالي السماء...

والنصف الأخر ينزل الى جوف الأرض..!

وهذا هو منفاي ولا فرار من المنفى....

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل الأول

بداية الجوف

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

- 1 -

أين أنا....؟

ما هذا المكان...؟

كيف أتيت الى هنا...؟

هناك ألم في عيناي لا أستطيع فتحهما بالكامل، ها أنا أحاول أن أرى سأفتح عيناي أكثر...أووووه...لا أستطيع...سأستشعر المكان وأنا مغمض العينين.

دافئ...وحنون..ومريح بعض الشيء، وأنا مستلقي على ظهري سأرفع قدماي قليلاً، أووووه...لا أستطيع هناك غطاء فوقي، أنه قوي ومرن وصلب في نفس الوقت...!

ولكن ما هذا الذي يربطني يزعجني بعض الشيء، وقد شد في بطني، يداي لا أستطيع رفعهما ألا أمامي، فهذا الغطاء يحيط بي من كل جانب.

سأدور في مكاني قليلاً.. سأنحي هذا الحبل الذي يربطني، وأدور في مكاني وأنا مغمض العينين.

Telegram: SOMRLIBRARY

لا أتذكر متى أصبحت هنا...؟

ولا أعرف من أين أتيت، كل ما أعرفهُ أني أفقت وجدت نفسي هنا.

ما هذا..؟ ما هذا...؟

ما الذي ينساب الى داخلي.. أنه يمشي في عروقي من أين يأتي..؟

وكيف ينساب داخل جسدي..؟

سأفتح عيناي..ها أنا أفتح بوابة عيناي الأولى وأقاوم الآلام وأنا أرفع أجفاني ها أنا أرفعه شيء...فشيء.

وأخيراً استطعت فتحهما. ما هذا الظلام..الذي يحيط بي..!

لا أرى شيئاً.

والآن قد أنساب إلي شيءٌ من الحزن لا أعرف من أين أتى وقد ملئت مرارته لساني..!

أوهكذا يكون طعم الحزن..؟

وهل أول شيء أتذوقهُ الحزن...؟

في أي بؤس أنا..؟ وما اقترفت حتى أرمى هنا..؟ أي لعنة هذه...!

ها أنا ذا أشعر بشيء يوقف أو يصعب أجزائي عن الحركة، وها هي عيناي تغلق رغماً عني..!

ما الذي اعتراني..؟ لم أستطع تفسيره..؟ ماذا..أها.. أنه (النوم).

Telegram: SOMRLIBRARY

- 2 -

لا...لا...ما هذا...أوووووه إنهُ شعاع الضوء قد تسلل إلي من خلف غطائي وأيقظني، لا يمكنني مقاومتهُ وفتح عيناي، سأضع يداي أمام أعيني لأحميها من هذا الشعاع.

أوووه..وهذه نوبة حزن تنساب إلي من جديد أي جحيم هذا الذي أنا فيه، سأحاول رفع غطائي قليلاً لعلني أتخلص من هذه النوبة.

ها..ها.. ولكنه قوي رغم مرونته لا أستطيع رفعهُ، حسناً سأركله قليلاً.. خذ..خذ..آه مازال الحزن يمتلئني متى أتخلص منه لا أحبهُ.

ما هذه الأصوات التي تأتي من خلف غطائي، بدأت ترتفع ولا أعرف معناها..! وكلما ارتفعت زادت كآبتي، سأحاول أن أركل غطائي بقوة أكبر لكي أفهم تلك الأصوات خذ...خذ..

لم أستطع رفع الغطاء، كم هو سميك وقوي، سأنقلب في مكاني أكثر وسأركل غطائي بقوة أكبر لعلها تنتهي نوبة الحزن هذه، خذ..خذ..أوه أخيراً هدأت الأصوات من خلف الغطاء، وبدأت تختفي نوبة الحزن تدريجياً.

أشعر بأن هناك شيء جميل وضع فوق غطائي..أوه حنون جداً..

Telegram: SOMRLIBRARY

يبدو أن أحداً من فوق الغطاء يكلمني، صوت هادئ وحنون يا ليتهُ يستمر يشعرني بالطمأنينة والراحة العجيبة.

أجل..أجل أستمر.، ما أجملك من صوت، وأنا أسمعك دائماً ولكن بنوبات مختلفة..! أرجوك أبقى فرحاً لكي لا يضطرب كياني.

سأقرب رأسي قليلاً لعلني أفهم ماذا يقول لي..؟

أه لم أستطع أن أفهم شيءً..!

ليس بمهم، المهم أن نوبة الحزن قد انتهت، ولا أسمع أصوات مرتفعة خارج غطائي.

سأستلقي قليلاً بعد نوبة الحزن المتعبة والمزعجة، حقاً تصيبني بإضطراب فضيع، لا أريدها ولكني مجبراً عليها...!

ليتني أفهم ماهي أسباب الحزن المفاجئ، وما هو سبب السعادة المفاجئة! ولِمَ كل هذا الحزن، وقلة السعادة..!

وما هذا الغطاء الذي يحيط بي من كل جانب؟

هووووو...هووووو ما الذي يحدث لي...! الغطاء يهتز ومكاني كلهُ يهتز معه، لا أستطيع السيطرة سأمسك بذلك الحبل الذي يربطني لكي لا يصيبني الاهتزاز أكثر.

وقف الاهتزاز..هووووو.. ها هو يعود ثانيةُ..وقف..أهتز... الى متى سأبقى في هذا الحال بين الأهتزاز والوقوف...أي مكانً هذا..؟

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 3 ـ

أشعر براحة عجيبة.. واطمئنان كبير...، حتى الهواء الذي ينساب لي قد أختلف.

هناك ضوء يدخل من خلف غطائي شعاعه دافئ، وهناك أصوات غريبة أسمعها ليست كالأصوات التي أعتدت على سماعها.

كم أتمنى أن أبقى بهذه الراحة والسعادة ليتها تطول، ليت الأشياء التي أعتدت عليها تتغير فتكون السعادة كبيرة.. والحزن قليل.

أشعر أن الحال قد تبدل ولم يعد كما كان ليتهُ يبقى هكذا...

لكن هيهات، ها قد جاءت نوبة حزن جديدة أكبر من النوبات التي مضت فمرارتها طغت على لساني وعلى جسدي لتغطي غطائي بالكامل.

أشعر بشيء أكبر من الحزن، فهو يعصر كل أجزائي، ويخنق النبض في داخلي، شيء يجعل أنفاسي تتسارع بشدة، وعروقي تجف ويضعف كياني، يزيد علية الظلمة التي أنا فيها، فيجعلني لا أرى حتى يداي، يعصف في داخل رأسي فيصعب علي تفسيره...!

ماذا..؟ الألم أهذا ما أتذوقهُ...! أو أسمه ألم النفس...!

Telegram: SOMRLIBRARY

أيُّ مصيبةً أحطت بي، أيُّ جرمً اقترفتهُ ليكون مذاقي الأول الحزن، ومذاقي الثاني الألم..!

ما الذي ينزل من عيني..؟ ما هذا..؟ ماذا دموع...!

آه لو استطعت دفع هذا الغطاء الذي يحيطني من كل جانب، قد يكون هو سبب بؤسي.

سأضربهُ وأركله بقوة فما عدتُ أحتمل... أه قدماي لا تقوى على الركل ويداي لا تقوى على الضرب فأنها نوبة استثنائية.

أرجوكم أخبروني ماذا يحدث..؟ فالنبض لدي بدأ يضعف...

ساعدوني فأنا أختنق.

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 4 ـ

ـ سأنزل الطفل الذي في جوفي. قالت الأم

ـ ماذا..؟ هل جننتِ..؟ لن أسمح لكِ بذلك. قال الأب بنبرة غضب وهو يضغط على ساعدها. دفعت يدهُ وتراجعت الأم خطوتان، ورمت بنفسها جالسة على أحد مقاعد غرفة النوم، وراحت تختض بطنها ليختض معها الطفل الذي في جوفها وأشاحت بوجهها عن زوجها وقالت:

ـ لا أريد شيء يربطني بك أكثر فما عدت أطيقك ولا أطيق الحياة معك.

أقترب منها وأمسكها من كتفيها وأوقفها وراح يهزها وقال:

ـ لماذا...؟ أنسيتي من أين جلبتكِ لأجعل منكِ سيدة هذا القصر...؟

ـ لا لم أنسى، ولكن لا يمكنني العيش معك ولو جعلتني في الجنة. ودفعت يديه وابتعدت لتتكأ بضهرها على أحد جدران الغرفة، ووضعت خصلات شعرها خلف أذنيها بأصابعها ناضرة للمجهول أمامها.

جلس الأب على أحد المقاعد ووضع يده على خدهُ متكأ بمرفقه على مسند المقعد وينظر لها بشزر وغرابة وعيناه تشتعل غضباً، أخرج نيران زفيره وقال:

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ وما الذي تغير...؟ أنتِ تعلمين كم صبرت وأنا أنتظر طوال عشر سنين زواجي بكِ ليأتي هذا الجنين، وكيف أصبحتِ تتكلمي معي بهذه الوقاحة، هل نسيتِ نفسكِ..؟

ـ لا لم أنسى ولا يمكن أن أنسى، كيف أخذتني من خربةِ أبي طفلة بعمر الرابعة عشر وأنت كنت في الخمسين من عمرك، وطوال عشر السنين التي مضت كانت حياتي معك، كحياة اليمامة مع النسر فريسة تمضغ بجسدها متى شئت لتأكل وتبقي على بَعضِهِ.

أدارت عنه ومشت ثلاث خطوات ثم دارت أليه مرة أخرى وأكملت تقول:

ـ فلا أريد أن يولد هذا الجنين ويرى تعاستي معك.

بقي الزوج في ذهول وصدمة ما سمعه، أذ نزلت عليه كالصاعقة. بدأ يتنفس بقوة وأتكئ بضهره على متكئ المقعد وأرخى يديه الى جانبه، وأصغر عينيه بأجفانهُ وراح ينظر لها بنظرة حزن وحقد. وهي تقف وتضع يديها على خصرها كتحدي.

أحنى بكتفيه ورأسه الى الأسفل قليلاً، من ألم ما أصاب مسمعه وقال وهو منكس رأسه

ـ أأصبح صوتكِ يعلو بعدما كنتُ لا أسمعه..؟

أأصبحتِ تتطاولين معي بعدما كان يملأُكِ الذل والخوف أمامي..؟

أأغراكِ شبابكِ...؟ أم أغراكِ ما تحملين في جوفكِ...؟

Telegram: SOMRLIBRARY

ابتسمت نصف ابتسامة وشوحت بيدها باستهزاء وابتعدت لتجلس على طرف السرير وقالت

ـ لو كان يقويني وجود ما في جوفي لما طلبت أن أتخلص منه، وأنا أعلم أن لا يهمك شيءً سوى ما في جوفي. ولكن الذي يجري أني لا أريد أن أزيد قيودي معك أكثر، ولا أريد أن أسلمك ما في جوفي لأني أعلم بنواياك.

ـ أتعلمين يا لعينة كم أتمنى الأن أن أبرحكِ ضرباً. قال وشرار الغضب يخرج من فمهُ.

ـ أضرب فليس بجديد عليك الضرب فلطالما أحمر جسدي وأزرقت أهدابي من ضربكِ، كلما ضعفت أمامي في السرير. أما الأن لا تستطيع ضربي خوفاً على الجنين وسأعطيك حرية الضرب بعدما أنزلهُ.

أتكئ بكفه الأيمن على مسند المقعد ووقف ثم مشى خطوتين وقال وهو يشوح بسبابته

ـ أيتها الحقيرة أن حدث لجنين مكروه سترين شيئاً لم تريه من قبل وأنا أحذركِ.

أشاحت بوجهها عنه وغرزت أصابعها بين خصلات شعرها وأخرجتهم وقالت

ـ أتعلم فعلاً أشعر أني حقيرة في العيش معك، ما الفرق بيني وبين الحقيرات اللاتي كنتَ تذهب لهن كلما صددتك في السرير.

أتعرف ما الفرق..؟ الفرق في السعر والوقت أعطيت أكثر حين أخذتني لوقت أبدي، وتعطيهن أقل لقاء ليلة واحدة.

Telegram: SOMRLIBRARY

بعدما سمع هذا الكلام أتجه إليها بخطوات متثاقلة بالسنين وألم ما يسمع. وغرز أصابعه في شعرها وراح يشدها منه ويلوح برأسها يميناً وشمالاً وهي تصرخ من الألم قائلاً:

ـ أسمعي أيتها المنحطة بعد الذي سمعت حين تنجبين هذا الجنين لن أبقيكِ معي وسأرميكِ الى المكان الذي أخذتكِ منهُ. وراح يشد بشعرها الى الأعلى وهي تصرخ وتدفع يديه، وأكمل قائلاً: إن حدث مكروهاً للجنين لن أبقي عليكِ وعلى أحدً من أهلكِ.

ورماها على السرير وراحت تبكي وتأن من فرط الآم وقالت:

ـ وماذا تظن إني سأنجب لك غير طفلاً مشوهاً فكرياً ومعاق نفسياً، فالبيت الذي لا تحترم فيه المرآة لا ينجب إلا المشوهين والمعاقين.

ها أنا مشوهة فكرياً ومعاقة نفسياً لأن أبي كان دائم الضرب لأمي، وأنت مشوهاً ومعاق لأن أباك لم يكن يحترم أمك.

ـ أصمتي أيتها القذرة. وخرج وصفع الباب.

وبدأ فصل الدموع، فاضطجعت على بطنها ودفنت رأسها في الوسادة وراحت تبكي بألم وحسرة.

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 5 ـ

الأن علمتُ أين أنا..! وما هذا الغطاء الذي حولي...!

أنا في جوف أمي

وأه يا أمي

أنا أبكي في جوفكِ.. ألا تسمعين...؟

أنني أصرخ وأبكي وأضرب وأركل بالغطاء الذي يحيط بي فهلا شعرتي بمأساتي.

أماه رغم أني لم أفهم من صراخ الصوت شيئاً ولكنني شعرتُ بألم وقسوة ورفضاً منكِ.

أماه...فهذا الغطاء الذي حولي اشتدت ظلمتهُ وتجرعت السم من الحبل حزناً وألماً ودموعاً، لقد شعرت بأنكِ ترفضيني، أماه حدثيني بما أخطئت.. أماه أخبريني ما ذنبي، أماه جوفكِ يخنقني...

أماه الألم يعصر قلبي، أماه..ها أنا أضرب وأركل أرحميني، أماه لِمَ لا تريديني...؟

Telegram: SOMRLIBRARY

أماه أنا أتنفس هواكِ فلما تخنقيني..؟ أماه أنا أعتصر جسدكِ المرمي فوقي وأنتِ تبكين، ماذا أجرمت..؟

أماه لا تبكي فقلبي يضعف نبضه كلما بكيتي.. ودماغي تلف من الآلام فأنجديني.

أيها الرب ما الذنب الذي اقترفته، وما الخطيئة التي ارتكبتها حتى تضعني في هذا الجوف.

ما ذنبي أنا إنّ تزوجت أمي بقدر أسود، مودتك ورحمتك لم تصل قلوبهم فلما أنا أتحمل خطاياهم...؟

لما كتبت علي الشقاء...؟

لما لم تضعني في جوفً أخر..؟

لما أتجرع الألم قبل السعادة..؟

أماه كنتُ أتمنى أن يكون جوفكِ هادئ وحنون وآمن فلما أظلمتهِ علي وخنقتني في داخله..؟

أماه أنا أحبكِ وأحب جوفكِ، رغم أن جوفكِ كل شيءً فيه صالح إلا الحياة.

لما تجعليني أحب وأرجو لو كنتُ في جوفاً أخر...أماه يا وطني.

أماه لا تضربي على غطائي أرجوكِ، فكلما فيَّ قد أختل وذبل. أماه أعلم لا تريديني..! ولكن أين أذهب..؟ أين المفر..؟ ففي جوفكِ عذاب وألم، وأذا خرجت سأكون في الجوف الذي تعيشين فيه، أي جوفً ذاك الذي تعيشين فيه حتى ينقل لي كل هذا الألم.

Telegram: SOMRLIBRARY

أماه أه ضربكِ على الغطاء يؤلمني إنْ كان يريحك فأضربي أكثر أضربي فقد انهارت قواي، سأصمت وسأتنفس السموم التي تأتيني، وسأهضم أي لعنة تصل أمعائي، وسأنتحب بهدوء فما عدت أقوى على شيء.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل الثاني

ما قبل الجوف

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

- 1 -

ما زلت أذكرُ ليلةَ الشؤمِ التي قادوني بها الى زفافي، كانت أشبه بليلة حرب...! كنتُ بعمر البرعم الندي، لا أذكر كم كان عمري في وقتها، أربعة عشر أو خمسة عشر قرناً لم أكن أعد بالسنين.

ثمرة قطفت قبل أوانها بكثير فلم تعرف النضج بعد، كنتُ أعيش حياة الزهرة بين الصبار أباً لا يفارقه الكأس وأم بائسة وأخوة بين سارق ومدمن وضائع، قدمني أبي لإله المال وقال لي هذا زوجكِ.

كنتُ ضريبة فقر دفعها أبي ليعيش في رخاء على حسابي.

ولم أكن أعي في وقتها ماذا علي أن أفعل..

كنتُ أريد الخلاص

أريد أن أتنفس

أريد أن أمسح الغبار عن جسدي

أريد أن أفتح شعري للريح وأطير.

وما كنتُ أعلم أني خرجتُ من بؤس مظلم الى بؤس منير بروح مظلمة، والنور بالروح لا بالعين.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 2 ـ

خرجتُ من خربة أبي، لأذهب لقصر بخربة روح ما سمي زوج.

كان زوجي قد لبس الخريف جسداً لهُ وكنتُ في بداية الربيع، ظلام الليل قد صبغ شعري وصبغ شعره طلع النخيل، كنتُ في بداية طريق الأمل أما هو فقد قطع في طريق الأمل أشواط.

ألبسوني فستاناً أبيض كبياض أحلامي وعقداً وأساور سوداء كسواد أيامي القادمات.

ساقوني الى القصر تلحف القصر بالغيم وكأن الشمس أشمئزت أن تلوث نورها بجداره.

كانت حديقة القصر أكبر من الحي الذي أعيش فيه تتوسطها (نافورة) كبيرة وضع في ركنيها تمثالان لأسدين يزأران.

الأشجار كانت أشبه بسور ثاني للقصر، ورغم خضرتها لكنها كانت بلا حياة. فتُحَ أمامي باب من الخشب الصندل أصلب من قلب أبي.

دخلتُ القصر ومشيت خطوتين فانزلقت أقدامي، لما لأرضية القصر من نعومة استندت بيدي بأحد الأعمدة، كنتُ كطفلة تائهة بأحد المتاحف ترمي ببصرها يميناً وشمالاً.

Telegram: SOMRLIBRARY

هنا ثمانية أعمدة كبيرة من الرخام توزعت لتوقف شموخ القصر، وكان على يميني وشمالي سلمان كبيران للصعود للطابق العلوي، فرشت السلالم بسجادة حمراء.

ودّعتني أمي البائسة بدموع اليأس، وأخذ أبي ثمن قربانه لذبحي ورحل.

أمسكَ ما سميّ زوجي بيدي وأصعدني السلم وفي كل خطوة للصعود كنتُ أودع حلماً.

كان يسير بقربي ويهمس في أذني بوعوده، أنه سيكون حريتي وسبب سعادتي وأنه سيبني لي قصراً مثل هذا بدل الخربة التي كنتُ أعيش فيها.

دلني على غرفة الذبح (غرفة النوم) ودخلتها. آه وألف آه...

كم أكره نفسي في تلك اللحظة، كم أكره سذاجة ابتسامتي وغبائي، كيف قبلتُ..؟

كيف لم أفهم أني لعبة..؟

كيف لم أهرب...؟

كيف لم أصرخ..؟

كيف كنتُ أضعف من كبش سِيقَ الى الذبح.

أي صفقة تلك التي يكون فيها مقابل الحرية الذبح.

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 3 ـ

في الغرفة كانت الستائر سوداء زينت بخيوط ذهبية وتدلت من السقف الى الأرض تغطي النافذة كانت أشبه بستارة مسرح سترفع بعد قليل ليبدأ على خشبةِ جسدي العرض.

كان الحائط الذي على يميني مطلياً بالأبيض ونقش عليها بالأحمر بعض النقشات، وعلى يساري كان السرير عليه فراش أبيض وقد تغطى الى المنتصف بشرشف باللون الأرجواني، ولا أعرف لِمَ تخيلته طاولة اجتماعات.

وضع الشمعدان على خزانة صغيرة عند رأس السرير كان أشبه بشموع المقابر.

كانت الغرفة تسع لعائلة كاملة قسمت الى سرير نوم وخزانة كبيرة بعدةِ أبوابٍ باللون الأبيض وخطت بلون البنفسج على أطراف أبوابها، ومقاعد ملكية للجلوس مذهّبة عند طرف المتكئ وأطراف المساند، تشبه مقاعد الرؤساء التي نراها في التلفاز عند اجتماعاتهم. وضعت أنية الأزهار الملونة على طاولة صغيرة في منتصف الغرفة. جلست على السرير كان ناعماً وحاداً كشفرة حلاقة.

Telegram: SOMRLIBRARY

بدأ حريتي الوهمية أو زوجي أو قدري الأسود بخلع ملابسه، بان على جسده ترهلات السنين من كثرة احتلاله لأجسادِ النساءِ من قبلي، فهو يأكل أجسادهن ثم يرميهن حتى أصيب بالتخمة ولم يكتفي...!

فها هو يحاول أن يحتل جسدي، ولم أكن أعرف في وقتها هذا أو تغاضيت عن كل شيء من أجل أن يحررني من الحال الذي كنتُ فيه.

رمقني بنضرة اشتهاء وملأت فمه ابتسامة بانت أنيابه منها وقال (يا حلوتي ألا تخلعين ثوبكِ) امتلت خدودي بحمرة الخجل والخوف.

أه اللعنة لا أريد أن أتذكر أكثر مما حدث تلك الليلة أريد غيبوبة أو فقدان جزئي للذاكرة لأصحو وقد نسيت ما حدث في ليلة البؤس تلك، كيف وها هي صورة ما حدث تمر أمامي وكأني أشاهدها الآن.

مدَّ يده الى يدي وقبّـلها فأرتعش جسدي كجناح فراشة. راح يطمئنني ويهدئني بوعودً صادقة كنتُ أضنها كاذبة اكتشفتها في وقت متأخر. وراح يداعب خدي بيده الكبيرة وأقترب مني حتى ألتصق ترهل بطنه بي وبانت في عينيه بريق مكر الثعالب، وراح يلثم رأسي وخداي تقبيلاً كانت أشبه بقذائف مملوءة بلعابه. خفتُ وخشيت أن أفقد ما أوصتني أمي ألا أفقده طوال عمري سأفقده الأن.

وقفت وابتعدت قليلاً عن السرير بخطوات مرتجفة وعيناي تنظر الى الأرض وقد تشابكت أصابع كفيّي فيما بينهما. تبيعني ووقف خلفي وراح يفتح سحاب ثوبي، أردت أن أصده لكني خشيت على أملي في الحياة الجديدة ان ينتهي.

Telegram: SOMRLIBRARY

كان السحاب أجرَأَ مني فقاوم قليلاً، أما أنا من فرط خوفي على حريتي ضغفت على أن أقاوم أي شيء، نسيت أن الذي يستعطي الحرية يرمى له بالفتات. فقد كنتُ أحمل قلب طفلة بجسد أمراه.

بان ظهري فشعرت بذهوله، وهو يرى ما أمكنه رؤياه من أرض ظهري فشهقة فمِه ملئت أذني، كانت أشبه بعواء ذئبٍ جائعٍ وكنتُ فريسته.

أدار جسدي أليه وراح يرتشف من ضفاف نهري شفتاي ليملأ ظمأه بقوة، وأنا أقف من فرط خوفي على أملي.

تدلت يدي اليمنى، وقاومت بيدي اليسرى بدفعه قليلاً، وعيناي خرجت من فرط الذهول، وملئ لعاب فمه شفتاي وطغى على خدي، وراح يعصر على أذرعي وسحب ثوب العرس من كتفيي، ودفع بي الى السرير (المقصلة)

غطيت ما أمكن يداي أن تغطي ما كشف من جسدي ولا أعرف لما تذكرت في وقتها أخوتي...!

رمى بنفسه علي وراح يسحب بقوة ثور يداي ويقطع حمالة صدري ليظهره الى النور.

تغيرت ملامح شكله حتى أنقلب الى محتلٍ مستعمرٍ، بدأ أشبه بغارة، أجتاح علي لينهك مقاومة جسدي، فقد هاجمني من جميع الجهات.

راحت كل مسامة بي ترتجف ودموع خطت على وجهي قلت

(لا لا لا أرجوك) وصورة أخوتي لا تفارق خيالي.

لم يستمع لي وراح يعض على رقبتي وصدري بافتراس.

Telegram: SOMRLIBRARY

كان النزال بين ثور وغزال، رائحة المسك كانت تخرج مني وتخرج منه رائحة روث الثور. صددت وأردت أن أقاوم وأنا أدفع نطحات رأسه عني. فرفع رأسه ونظر إليّ بغضب وأخرج زفيره من أنفه وضربني بكفه على خدي فكتمت أنفاسي وخوفي، وراح كل ما في جسدي ينتحب.

أراد أن يجردني من أخر ما يغطي جسدي فقاومت وصرخت وبكيت، ولم يستمع وراح يضرب بكفه خدي الأيسر فأفقدني توازني وقطَعهْ ليعري جسدي بالكامل، وصرتُ كالجثة الهامدة.

ترآءت لي صورة أخوتي يقفون خلفهُ...!

فأحدهم كان يشمت ويضحك، والثاني أدّعى الحزن أما الآخر فقد تنحى جانباً وأدّعى عدم رؤية ما يحصل لي.

أخرج سيفهُ ليلاجه ويذبحني، فلم يستمع لهُ سيفهُ وخذله لذبحني فقد صدأ وترهل وتعب من كثرة الاستعمال ومن السنين، حاول أن يساعد سيفه بيده، فصغر وأصبح خنجراً.

وبّخني وراح يشتمني ويلقي علي اللوم سبب تعب سيفه، لأني لم أستجب للذبح. وأنا مرمية على السرير وردة قِطَعتْ تويجاتها، تكورت وأنظر إليه بخوف وشلال الدموع ينزل من عيني بصمت.

وقف عن السرير وأبتعد بضع خطوات وفتح أحد أبواب خزانة الملابس وأخذ علبة دواء أخرج منها حبة زرقاء ورماها في فمه وأخذ قنينة الماء التي وضعت على الطاولة وراح يشرب من فم الزجاجة،

Telegram: SOMRLIBRARY

جلس على كرسي قرب الطاولة. أخرج سيجارة وراح ينفخ دخانها. وأنا بقيت أنتظر الذبح، أنتظر أن يحد سيفه ليلجه في أعماقي.

بقيت أبحث من ينجدني من هذا الغزو لكني لم أجد أحداً، ورحت أقلب طرفي يميناً وشمالا لكن دون جدوى بلا معين وبلا منقذ وبلا مخلص الكل قد تبرأ مني، والكل قد باع صوته.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 4 ـ

بقينا بصمت كان أشبه بسكون ليلة انتهاء معركة. كان كل شيء في الغرفة بارد ومظلم إلاّ جسدي كان يشتعل أرتعاباً وخوفاً مما أراه، فالذي يخسر معركة لا يرتاح حتى تنتهي الحرب.

رحتُ أكور جسدي كالجنين وأقلب نضري في الغرفة شعرت أني أجلس في جوف الظلام، فظلامُ روحهِ طغت على المكان.

تمنيتُ لو يعود بي الوقت لبضع أيام، لأيام عذاب الخربة وعذاب أبي وأخوتي على الأقل أحتفظ بعذريتي، فزيف الأضواء شيطان من نوع آخر يتغلل في جسدك ليلوث كل ما فيك شيءً... فشيء.

رفعتُ رأسي قليلاً ونضرت إليه بطرف عيني الذابلة رأيته يشرق بابتسامة سوداء، وأطفأ سيجارته التي لا تنتهي، وراح ينظر الى خنجره وقد أصبحَ سيفاً.

راح يخطوا باتجاهي، أنزلتُ رأسي ورحتُ أغمض عيناي وأكور جسدي أكثر لعلي أصنع حصناً يقيني من الذبح، بدأت أستمع الى خطواته وأرتعد خوفاً.

Telegram: SOMRLIBRARY

ودون أن يكترث إليّ وإلى نهر الدموع الذي بلل وجهي وسريري ودون أن يشعر بارتجاف جسدي، وضع يده الكبيرة على ساقي، مخلب نسر يقبض على يمامة، وقلبني على ظهري فراح صوت بكائي يعلو، وبدأت أصرخ بتحشرج الصوت (أمهلني قليلاً أرجوك..أرجوك) وهل يمهل السفاح أحداً.

لم يستمع ورحت أقبض على فخذَيّ بقوة عظامي الصغيرة، فوضع يداه على ركبتَيّ وفتحَ ساقَيّ بقوة، وهدم كل مقاوماتي الضعيفة، فلم أستطيع الصمود أكثر، وعدت أصرخ أنتظر أرجوك، ودون أن ينظر إلي أو يستمع لصراخي، جلس بين فخذاي ورفعني قليلاً، وراح يغرز سيفه في داخلي ببطء، فغرز رأس سيفه، مسكت بالوسائد التي بقربي ورحت أصرخ بقوة أكبر.

ازدادت طبول قلبي، وراح يغرز أكثر وأصرخ أكثر، سالت دمائي، فدفع سيفه في جوفي وراح يرتعش ورمى سمه في داخلي.أخرج سيفه وأرتمى بقربي وراح يلهث ورائحة عرق جسده النتنة ملأَتْ المكان.

بقيت أرفرف وأتلوى وأصرخ كطير مذبوح حتى رميت بنفسي عن السرير، ورحت أجهش بالبكاء بصوت عالي، أدار وجهه عني وتلحف وكأنه ليس سبب دماري وألمي. فقد أنهى مهمته بنجاح وقد ارتضت نفسه بعد أن علم أني لم أذبح من قبل.

جلست على الأرض ووضعت رأسي بين ركبتاي تغطي وجهي، وتدلى شعري على جوانب وجهي وعلى جزء من جسدي. وكانت أصوات بكائي

Telegram: SOMRLIBRARY

تعلو، لتختلط دموعي بزينتي وترسم على وجنتَيّ نهران يلتقيان عند فمي فيصبغ لون الأحمر.

شعرتُ بسمِهِ في جوفي تختلط مع دمائي. تسندت بالسرير (طاولة اجتماعات كما تخيلتها) ووقفت واتجهت الى الحمام، كان على يسار الغرفة.

كنتُ أترنح بخطواتي كأني ثمل أمتلأَ جسده بالخمور ليستند بأي شيء يقف أمامه. رميتُ بنفسي في حوض الإستحمام وأخرجتُ رأسي، ورحت أغسل عاري وأبكي... وأبكي وأمسح آثار لمساته... وقبلاته... وخيبتي.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 5 ـ

بعد مأساة تلك الليلة التي مرت بي شعرتُ أني كبرت بسرعة، وبدأت أتعايش مع الحياة الجديدة، وكنتُ أتصور أن هذا هو شكل الحياة أو شكل الزواج...

وأن الحياة المختلفة هي فقط على شاشة التلفاز أي من نسج الخيال.

أمّا الواقع فكانت لدي قناعة تامة هو الحياة التي أعيشها وهي لا تتغير أبداً...

مرت ثلاث سنوات وأنا على هذا الحال، بين وعود كاذبة وواقع يزداد مرارة كل يوم، كنتُ أشبه بخادمة مطيعة على أمل أن تتغير حياتي ورضيت بكل شيء في سبيل أن أحظى بحريتي التي وعدني بها.

كان لا يرى بي إلاّ جوفي، جوفي الذي سيكون سبب استمرار هيمنته وسيطرتهُ. فهو يراقب جوفي باستمرار متى يكبر أكثر ليمتص ما فيه، ليكون وريثاً لهُ، سبباً لبقاء سلطته وقوته.

والذي صدمني عدت أحداث مرت، جعلتني أغير أفكاري..!

أولها هو ذلك اليوم الذي مازلت أذكر أدق تفاصيله،

حين زارنا أخو زوجي الأصغر وزوجته التي هي بنت عمي..! نسيتُ

Telegram: SOMRLIBRARY

أن أخبركم، أن من أوصل قدري الأسود ألي أو ما سمي زوجي، هي بنت عمي التي كانت زوجة أخوه الأصغر.

لأكون الزوجة الجديدة فقد تزوج قبلي خمس نساء ورماهن خلفه، بعدما أمتص أجوفتهن، حيث ولدت بعضهن له أولاداً لم يستمروا على قيد الحياة، والبعض ولدن له مشوهين.

وسر إبقاءه علي أن الأطباء نصحوه أن يتزوج فتاة في بداية النضوج ويصبر لكي يرزق بطفل معافى.

كنتُ أنظر لأخ زوجي وبنت عمي بدهشة كبيرة، كانا أشبه بفلم سينمائي، كان الحب الذي بينهما أشبه بفيضان يفيض من عيونهم ليضرب ويهدم أفكاري ويترك أنقاضاً في قلبي وحسرات على حياتي.

قد أوفى أخوه بعهوده مع بنت عمي، فلقد بنى لها بدل خربتها قصراً مقابل أن تعطي الكثير من أبناء جوفها له. ولا تناقشه أو ترفض لهُ أمراً، فهم لا يرون في النساء إلاّ جوفهن.

كانا يجلسان متلاصقين في أي مكان، والضحكات لا تفارق أفواههم.. ضحكاتهم كانت كالصواعق على أذناي.

وعذابي عندما يجلسان معنا على مائدة الطعام، فكانا يؤكل احدهما ألآخر والأبتسامة لا تفارق شفاههم.

كنتُ ألوك الطعام مع الحسرات والألم وأنا أنظر الى الجثة التي بقربي أو ما سمي زوجي. كانت هواتف العمل لا تصمت ولا تنتهي.

Telegram: SOMRLIBRARY

كنتُ أشعر بغربة كبيرة بينهم، طالت زيارتهم عدة أيام ثم رحلوا، وبقيتْ دهشتي بحقيقة الحياة الزوجية التي لا أعرفها تطاردني في كل مكان.

ماذا فعلت لتكون حياتي بهذا السأم والألم، فمن بؤس الى آخر. أين أذهب..؟

أين المفر..؟

أصبحتُ كطير بقفص من ذهب، يصرخ من أجل الحرية، فقد حكم علي السجان أن لا أفارق القصر، حتى الدراسة جعلني أدرس في البيت أي عن بعد، فكنتُ بعيدة عن العالم والحياة لا أرآها إلاّ من خلال الزجاج قد يكون النافذة أو التلفاز.

أما الهاتف المحمول وضع في يدي بعد حروب معه طاحنة.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 6 ـ

وأما الحدث الثاني الذي غير أفكاري، بعيداً عن أنه كان يضربني لسبب أو من غير سبب. فقد أعتاد جسدي على ذلك فقبله ما زال جسدي يأن من ضرب أبي.

سمعته ذات يوم يحدث أحداً عني، أنه بعدما يأخذ ما في جوفي سيعيد بي الى خربتي...!

جعلني أشعر أني أعيش بوهم وأن هذا القصر رسم من سراب حتى أعمدتهُ وبناءه الشاهق كله سراب وكذب، وأني أعيش في خدعة، ما إنْ يمتص ما في جوفي ولداً كان أم بنت سيرميني.

صعقت وأصبحتُ على يقين بزيف وعوده، وأن السعادة لا لقاء بيني وبينها، وأن أحلامي أمست خبراً، وأملي وهماً لا أساس لهُ.

وما أصعب أن ترى أحلامك تتبعثر ولا تقوى على إنقاذها من الضياع،

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

- 7 -

أما الحدث الثالث

هو تلك الليلة حين كنتُ أقف عند الشرفة، وأنظر الى أضواء البيوت وأتأمل الأصوات التي تصل الى مسمعي دون أن تفهم..

كنتُ أشعر وكأني سجين ينظر من نافذة زنزانته ويعلم أنه محكوم بأبدية السجن، وتجلب لهُ الريح أصوات الحرية فتزيد عليه ظلمة سجنه.

هبت رياح تنبأ ببداية عاصفة، اضطررت الدخول الى الغرفة، ورحتُ أنظر من خلف زجاج النافذة الى الأشجار وهي تنحني مع ازدياد هبوب الرياح. فأنتشر الغبار في كل مكان، وأنقلب ظلام الليل الى حمرة مخيفة، بقيت أترقب الرياح وصوت عزفها على النافذة.

كنتُ أعلم أن زوجي لن يعود هذه الليلة، وكان هذا أمراً جيداً جداً..

تلحفت بوحدتي واستسلمت الى سلطان الكرى ونمت.

في الصباح استيقظتُ قبل الجميع، فقد ايقظني الشعاع الذي دخل غرفتي، لأني نسيت أن أنزل الستارة في الليلة الماضية.

وكأن الشمس تخبرني بحياة جديدة، أرسلت ضوءها لتوقظني من غفلتي وبلاهتي ولتعلمني درساً جديد.

Telegram: SOMRLIBRARY

فتحت النافذة وخرجتُ الى الشرفة وأخذتُ أنظر الى ما فعلتهُ الرياح في الليلة الماضية.

فرأيتُ تجمع أوراق الأشجار فوق ماء (النافورة)، ورأيتُ بعض الأوراق البيضاء والنفايات قد تعلقت على أغصان الأشجار، والبعض الآخر قد وقع على عشب الحديقة.

فرأيتُ ما فعلته الرياح من خراب ولم يسؤني ذلك، فقد كنتُ أرى كل شيء في هذا القصر خراب وظلام.

أدرت رأسي يميناً لفت انتباهي لمعان ورقة حطت رحالها على العشب، دققتُ النظر فيها فعلمت أن هناك كتابة بخط اليد على تلك الورقة.

ثار فضولي معرفة ما هو مكتوب فيها، نزلت الطابق السفلي وكانت الخادمة قد بدأت تواً الاستيقاظ للمباشرة في أعمالها.

قطعت الصالة بخطوات سريعة ماسكة نفسي عن الركض، فتحت الباب المؤدي الى الحديقة الأمامية واتجهت الى الورقة. كان البستاني قد باشر بتنظيف ما جلبته الرياح.

مسكتُ الورقة كانت كبيرة محشوة بالكتابة بوجهين، وقد تلطخت بزيت أو بشيء آخر وكان هذا هو سبب لمعانها.

أخذتها ورجعتُ الى غرفتي بسرعة، وكأنني رجل معدم من المال وجد سبيكة من الذهب ستسدي عليه رمق الفقر، كان فقري من نوع أخر وهو ملأَ الفراغ الذي كنتُ أعيش فيه.

Telegram: SOMRLIBRARY

دخلتُ غرفتي وأغلقت الباب، كانت أشبه برسالة حبيبٌ سري، استعرت منديلاً من علبة المناديل التي كانت عند رأس السرير، ورحت أمسح الغبار وما تلطخت به الورقة.

كانت ثقوب صغيرة حذفت بعض الحروف، ولكن كان بإمكانك قراءة الكلمات بالعودة الى الكلمة التي قبلها أو الذهاب الى الكلمة التي تليها.

لم أستطع أن أقرأ السطر الأول بفعل التلف، وكان السطر الأول قد كتب الى المنتصف.

فابتدأت بالسطر الثاني كان يقول:

((كيف حالكِ يا معذبتي..؟ وكيف الليالي معكِ..؟

أأنتِ مثلي ترتشفين الذكريات أم كسرتي كأس أيامنا

وطاب لكِ كأس غيري... ونسيتِ عهدنا..!

أنا كما عرفتني مجنونكِ لحد الغباء..!

فما زلتُ أذكركِ إلى الآن... ولم تغيبي عن مخيلتي لحضه واحدة...

نعم مشتاق لكِ ولأيامنا معاً.. رغم أني أعلم أنكِ فضلتي رجلاً آخر علي

حاولت أن أكرهكِ... حاولت أن أنساكِ... لكن غبائي يمنعني..!

لم تستطيعي الصبر.. وتركتني من أجل المال...

ولم أستطع أن أبدأ حياتي مع غيركِ...!

أعلم مر عامان على هجرانكِ...

Telegram: SOMRLIBRARY

ولكن لا تزال لمسة يديكِ مطبوعة على أصابعي...

ولا يزال عطركِ يملئ أنفي...

أما صوتكِ يا له من شرير لا يزال يطاردني حتى في نومي...

وأعلم أنكِ ابتدأتِ حياة أخرى مع غيري، وأتمنى أن تكوني سعيدة، بالقدر الذي كنتُ بهِ سعيداً وأنتِ بقربي.

لا أريد شيئاً... ولا أريد أن أدمر صفو حياتكِ..

ولكن أريد أن تسامحيني لأنني وبختكِ وشتمتكِ في أخر لقاء جمعنا..

وأعذري جنوني في يومها فليس على المجنون حرج.

وأنا كما أنا، أعشق أصغر ذكرياتكِ.. وأحتفظ بجميع هدايانا وذكريتنا

التي رميتها أنتِ بدوركِ الى اللهب، يبدوا لا يمكنني الا

وأعاتبكِ....

أتعلمين أني أحتفظ بجميع ما كتبت عنكِ من شعر وخواطر سأذكركِ

بواحدة من الخواطر

((عندما تشرق الشمس تختفي كل الأضواء

وعندما أشرقتِ أنتِ اختفت كل النساء))

أتذكرينها أم نسيتها كما نسيتِ كاتبها...؟

Telegram: SOMRLIBRARY

أه أتعلمين ما أوعز سبب ترككِ لي غير المال، هو أني تخمتكِ حباً وعشقاً، فما استطاع إحساسكِ الضئيل أن يدركه، ها ها ها ألم أقل لكِ لا يمكنني أن أحدثكِ دون أن أعاتبكِ... فأنتِ لا تعلمين ما عمل الهجران بي.

أتعرفين ما أتمنى..؟ هو أن أراكِ وأرى ما تركه فراقي عليكِ

هل أبيض شعركِ مثلي..؟ وهل سميتي أبنكِ البكر على أسمي حتى أشعر أني لم أكن في أيامكِ سراب..

أحياناً أقوم من نومي فجأة وتتراءى صورتكِ أمامي، أقفز من نومي لعلني أحضن طيفكِ... وأجلس أبكي شوقاً أليكِ...

سامحيني أن أخذت من وقتكِ الكثير،

ولستُ أدري، هل سأتجرأ وأبعث لكِ هذه الرسالة...؟ أم لا..؟

وسأختم رسالتي كعادتي السابقة بأخر ما كتبت لكِ

(أنـــا لا أحتـــرق مـــن اشـــتياقي لـــكِ..

فالرمـــــــــاد لا يشـــــتـــــعل)

حبيبكِ

جلستُ أبكي وأبكي... وأتساءل عن غباء بعض النساء التي تترك الحب من أجل المال، لا يعرفن أن بريق المال ينتهي... وبريق الحب أبدي.

Telegram: SOMRLIBRARY

لا أعرف لماذا شعرت أن العاشقين هم أبنائي، مساكين يا أبنائي لا يمكنكم أن تحبوا هنا.

بدأتُ أتمعن في الحروف وقرأتها مرتين أو ثلاثة وعلمت أني يجب أن أحظى بـــهكذا حب.

دفنت الرسالة تحت وسادتي، ورحتُ أفكر هل يا ترى أرسلها وهي بجحودها رمتها..؟

أم سلمها للريح فجلبتها ألي..؟ ولِمَ وصلت إلي..؟

أهي من (فينوس)[1] بعثتها لتعطيني درساً بالحب والحياة..؟

المهم أنها وصلتني... كيف... ولماذا... لا يهم، تكفي أنها أشاره من السماء لتوضح لي ما أنا فيه.

(1) ألهة الحب عند الرومان

Telegram: SOMRLIBRARY

- 8 -

أما الحدث الذي قلب حياتي رأساً على عقب وغير حياتي هو ذلك اليوم، وكما هي عادتي عند الملل أروح وأجيء في القصر، أبحث عن منفذٍ أو حتى ثقباً تتسلل منه روحي خارج هذا المعتقل الذي سُـمِّي كذباً قصر، كم تمنيت لو كنتُ ذبابة أو فأر لكي يتسنى لي الهروب متى أشاء.

وبينما أنا أدور في زوايا القصر نضرت الى شاشة المراقبة والتي هي مقسّمة الى خمسة عشر شاشة صغيرة تنقل لك ما تصّوره كاميرات المراقبة.

انتبهت إلى كاميرا البوابة الرئيسية ورأيت أحداً يقف ويتحدث مع حارس البوابة لم أستطع رؤيته إلاّ ظهره، الذي كان يميزه حقيبة يحملها على ضهره، رسم عليها شكل لم أتمكن أن أميزه حتى حين قربت الصورة،

وحين يكون المرء يعيش في الوحدة التي أعيشها، أي شيء يثير فضوله ولو مرت عليه نملة.

حدثت الحارس بجهاز اللاسلكي وسألته (من هذا..؟ وماذا يريد..؟)

أجابني الحارس (إنه عّراف ويدور على المنازل ليكشف لهم الطالع) زاد فضولي أكثر بعد الذي سمعتهُ (فأخبرت الحارس أن يدخله) أجابني(ولكن سيدي لن يقبل فقد أوصاني بأن لا أدخل أحداً مهما كان)

Telegram: SOMRLIBRARY

قلت (أدخله وأنا أحل الموضوع لاحقاً)

فتح الحارس البوابة، بدأ الرجل الغريب بالدخول، وطوال مشيه في الحديقة وأنا أراقبه بالكاميرات، ولم أتمكن من تمييز شكله بسبب لحيته، التي غطت معظم وجهه وشعر رأسه المنكوش.

بدأت أفكر لو أني لم أدخله لخوفي من مظهرهُ، ناديت الخادمة وقلت لها (سيطرق الباب أحداً، أدخليه وأنا سأجلس في الصالة ولا تفارقينا أبداً)

اتخذت أحد مقاعد الأريكة الذي يقابل الباب، حتى أراه حين يدخل وفور جلوسي طرق على الباب طرقاً خفيفاً، شعرتُ أنه يطرق على قلبي لشدة اضطرابي، قبضتُ بكفيّ على مساند الأريكة حتى أغطي على ارتجافي.

فتحت الخادمة الباب، ودخل ووقف وأغلق الباب خلفه، رحتُ أتطلع بجحوظ عيني.

كان مظهرهُ لا يشبه مظهر العّرافين المتعارف عليه أي خواتم باليد ومسابح في الرقبة، كان عراف بشكل أخر.

كان يلبس معطفاً أسوداً، وقميص وبنطلون أسود وحذاء متهري قليلاً أسود أيضاً. كان أشبه بغيمة سوداء.

الغريب في الأمر أننا كنا في شهر أيلول وهو نهاية فصل الصيف، لكن لا يزال الجو حاراً ولا يمكن لبس معطفاً.

والأكثر غرابة أنه لم يكن يشعر في الحر فلا عرق على وجهه أو على يديه، ووقت دخوله كان الظهيرة. فمحال أن يلبس أحداً ما يلبسه هو ولا يشعر بالحر الشديد.

Telegram: SOMRLIBRARY

رحت أتطلع فيما تبقى من وجهه الذي غطتْ لحيته معظمه، الحقيقة هو لم يكن وجهاً هو لحية بان منها وجنتين صغيرتين وعينين بلون الجوز، وحواجب غليظة، وشعره منكوش متوسط الطول مسحوب قليلاً الى خلف رأسه، فبان جبينه قليلاً كان ناصع البياض مع بثور حمراء متفرقة فوق جبينه.

كان متوسط الطول، وبمنكبين متوسطة العرض، بان على كفيه نقش السنين لتجعد الجلد.

رفع رأسه وبدأ يحدق بي، وراح يقترب باتجاهي بخطى هادئة ورصينة، بدأ العرق يطفو على جبيني من شدة خوفي واضطرابي، وكأنه نقل حرارة ما يلبس إليّ.

ودون أن يلقي التحية أو ينبس ببنت شفة، أتخذَ مقعداً على يميني وجلس، وراح يحدق في عينيّ.

سألتهُ الخادمة (عن ما يشرب) فلم يجب بشيء وظل يحدق بي، فوقفت الخادمة خلف المقعد الذي أجلس عليه.

أبعدتُ نظري عنه خوفاً وخجلاً من تحديقه.

فراح يتطلع بي من جنوبي الى شمالي وعاد يحدق في وجهي، وقال (أنظري إلي) ومن فرط خوفي ألتفت الى الخادمة ثم نظرتُ إليه.

وبقي يحدق في عيني تارةً يجحض عيناه وتارةً يصغرها بأجفانه، وأنا أرتعد خوفا، كأني قاتل جلس أمام قاضي ويعرف مصيره.

Telegram: SOMRLIBRARY

أدار وجهه عني وأخرج تنهيدة من فمه وراح يتطلع أمامه ثم غير من جلسته وقال

ـ يا لقلة حظكِ.. ويا لتعاستكِ.

عكرت جبيني ورحت أنظر أليه وأجبته

(ماذا رأيت...؟ ولِمَ هكذا تقول..؟)

ـ ما أقول هو الحقيقة

ـ من أنت..؟

ـ أنا طالعكِ

أضطربت أكثر وبدأ جسدي يندى عرقاً وأكملت قائلة

ـ ماذا رأيت حتى تقول هذا الكلام..؟

أخرج غليون من جيب المعطف الداخلي ثم أخرج ثقاب من جيبه الأيسر، وراح يشعله ويمتص من الغليون، وكنتُ أشتعل بحرقة أكبر من حرقة غليونه.

بدأت أتطلع فيه وبدأ ينفخ الدخان وأنا أنظر الى وجهه فقلت بنبرة صوت أعلى قل لي ماذا رأيت..؟

ـ لن تحتملي ما سأقول..؟

ـ سأحتمل قلي فقط. واتكأت بذقني على راحةِ يديّ وقربت وجهي بإتجاهه.

نظر إلي بطرف عينيه وثم أدارهما للجهة الأخرى وقال

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ لقد عشتي منذ زمن وستعيشين رغم ما رأيتِ وسترين، عشتي بأشكال مختلفة مرةٌ بشكل هرم ومرة بشكل جميل، أنجبتِ أناس وستنجبين، سيحكم أبنائكِ العاق أبنائكِ الطيبين، كل شيء فيكِ خصب وجميل، وفيكِ ثراء كبير وأنتِ معدمة، فيكِ السعادة ولكن قلبكِ يملئه الحزن، علمتي الناس حتى جهلتي ما علمتهم، وأعطيتي حتى افتقرتِ، ساعدتي ولم يساعدكِ أحداً، ظلمتي بسبب أبنائكِ العاق فظلمتي، ستقطعين وأخوتكِ يتفرجون عليكِ، ستحزني لأن أقرب الناس سيطعنكِ، فستقاتل يمينكِ شمالكِ، وسيقاتل قلبكِ بعضه بعض، ستجري على جسدكِ دماء ودماء، لا تفرحي بمن يمد لكِ يد العون فهو قاتلكِ ولا تسعدي إن تخلصتِ من هماً سيأتيكِ هماً أخر..!، حتى خدامكِ سيتجبرون عليكِ، دجاليكِ سيخدعون طيبوكِ لسذاجتهم وجهلهم.

بدأ نهرا الدموع ينزلان من عيني واتكأت بضهري على الأريكة وأرخيت يديّ على المساند وقلت

ـ لم أفهم كل كلامك..؟ ولما كل هذا...؟ وما الحل..؟

ـ لأنكِ تشبهين البلد الذي تسكنين فيه والحل حتى تتصالحي مع نفسكِ، وتعرفي قيمتكِ، وتمسحي الدماء عنكِ ويتصالح جسدكِ مع روحكِ، عندها تشرقين لتضيئي الكون كما كنتي في السابق.

غطيتُ وجهي بين كفيي ورحت أبكي حسرةٌ وحرقة مما أسمع. فأكمل قائلاً

ـ أرفعي رأسكِ لا وقت للانكسار وأنظري الى دخان غليوني.

Telegram: SOMRLIBRARY

رفعت رأسي ونظرتُ الى دخانهُ فرأيت ما مر بي في السابق وما سيمر علي أن بقيت هكذا.

أختفى دخانه فجأةً وأرجع غليونه الى مكانه في معطفه، وهمَّ للرحيل وقف ومشى بضع خطوات، ناديته قف

فأستدار لي ونظر إليّ نظرة حزن فوقفت وأتجهت إليه وقلت ـ أخبرني من أنت..؟ ولما تلبس معطفاً في هذا الوقت من الصيف..؟ ولما تحمل هذه الحقيبة..؟ وما في داخلها..؟ وما رسم عليها..؟ ولحيتك وشعرك؟؟؟ لما أنت بهذا المنظر..؟

أبتسم أبتسامة صفراء وأكمل قائلاً (أنا لا فصل لي كل الفصول ألبسها وقت ما أشاء، وإني ألبس شكل كل من أكشف طالعه وكنتُ أعلم إني سأكشف طالعكِ اليوم، وهذا المعطف ألبسه لكثرة الأهوال والأحزان، أما الحقيبة فأحمل فيها ملابس أخرى وعدة حلاقة سأستخدمها وسأغير منظري وستريني جميلاً، عندما يتغير حالكِ، أما من أنا، فأنا أنتِ أنا طالعكِ...!، أما ما رسم على الحقيبة هو رسم يشبهكِ أنتِ..!)

نظرت الى الحقيبة كانت الصورة أشبه بخريطة....!

لبس الحقيبة وخرج وأنا بقيتُ متسمرة في صمتي وفي ذهولي، من صدمة مما سمعت ورأيت، أكان حلماً أم كان حقيقة..؟

وما زاد علي الذهول حين سألتني الخادمة (سيدتي هل هذا الرجل المجنون أخرس...؟ فلم ينطق بحرف دخن غليونه وخرج...!)

زادت صدمتي وذهولي وركضت الى شاشة المراقبة لأتأكد أن ما

Telegram: SOMRLIBRARY

سمعت ليس حلماً، ولكني لم أجده فقد أختفى..وبقيت في دهشتي عدة أيام وأصبحت عادتي هي أن أراقب شاشة المراقبة، لعلني أراه مرة أخرى.. ولكن دون جدوى.

كان زوجي مسافراً، وجدتها فرصة للخلاص وللهروب ولكن الى أين والكل قد تبرأ مني.

اتجهت الى بيت أهلي حيث خرجوا من خربتهم بعد زواجي وأصبحوا يعيشوا بنعيم، وكنتُ أنا ضريبة النعيم هذا.

طلبت من أمي وأبي أني أريد الخلاص وأردتهم أن ينجدوني من احتلالي أن يساعدوني، فشتمني أبي ووبخني وبكت أمي، وأخبرني أن هذا قدركِ ولا خلاص من القدر، وأن فكرت الخلاص سيقتلني هو وأخوتي.

أستمرت أيامي ومضت سبع سنين أخرى ليمضي على زواجي عشر سنين وها أنا أحمل بجنين الأن.

تشابه الأيام التي تمر ورتابتها القاتلة، التي تمتص أيامي أمامي دون أن أصنع شيئاً، يوصلني أمام خياران، أما الأمل أو الانتحار وكلاهما هروب.

فالأمل هروب من الحياة لتأمل بحياة أخرى، والانتحار هروب من الحياة أيضاً.

اما الانتحار لا يمكنني اختياره فسأدخل الجحيم مرتين لأنني روحين بجسد واحد.

فسأتمسك بالأمل ليس لدي غيره، لعبة أتسلى بها عند الضجر، أو كذبة أخدع بها نفسي تكون سبباً لحياتي.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل الثالث

نهاية الجوف

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 1 ـ

بدأ مكاني يضيق بي أكثر، حتى أن حركتي داخله أصبحت تصعب علي كثيراً، وذلك الحبل الذي يقيدني ويرمي لي بسموم أصبح يزعجني أكثر، وصرتُ أقترب على الغطاء الذي يحيطني من كل جانب، حتى أن وجهي بدأ يلامسه.

صرتُ أميز الأصوات أكثر من قبل فأعرف من يصرخ وماذا يريد من صراخه وما هي نية قلبه حين يصرخ.

جسدي كبر فقد طالت مدة مكوثي وأنا في الجوف، ولقد توالت علي الأحزان والآلام طوال الفترة التي مضت، ولم أعد أشعر بالسعادة أو أشم رائحتها.

كان على يميني يرقد الحزن وعلى يساري الخوف وأمامي الظلم وخلفي القسوة أما فوقي وتحتي كان يرقد الموت.

يمر الوقت وأنا مقيد بما حولي، حتى أصبحتُ أستأنس المكان، وأصبحت أدمن على سموم هذا الجوف، حتى أني لا أتخيل الحياة خارجهُ، عيوني لم تعد تدمع وما عاد الصراخ الذي كان يرعبني يهمني

Telegram: SOMRLIBRARY

فما عدتُ أركل أو أضرب الغطاء الذي يحيطني، لا أريد الخروج بعد الآن...، ماذا سينتظرني في الخارج وكل هذا العذاب أنساب لي منهُ.

والذي كان يهون علي كل هذا صاحبي الأمل، الذي كان يزورني بين فترة وأخرى ويقول لي (هون عليك سينتهي كل هذا ذات يوم).

وكنتُ أهدئ نفسي أيضاً بأن أضع أبهامي تارةٌ في فمي أتسلى عن عذاب ما أشعر،

وتارةً أضع يداي على أذنيي لكي لا أسمع الصراخ، وتارةٌ أضغط على الحبل بيدي لكي لا يرمي ألي بسموم أكثر، فلدي الكثير منهُ.

كنتُ أفعل كل ذلك محاولةٌ مني أن أقتل الشعور بداخلي لكي لا أضطرب أكثر. وباءت جميع محاولاتي بالفشل، ولا أعرف لماذا..؟ أهو بسبب الحزن..؟ فالحزن يهذب المشاعر ويرقيها ويجعل إحساسها أعلى.

وها أنا الأن أشعر بشيء غريب، شعور يمتزج به الحزن مع الهدوء، ليطغى على العواطف ويجعل العيون تمطر.

أسمع وكأن أمي تكلمني بشكل مختلف لا أفهم ما تقول، ولكن نبرة صوتها اختلفت، فهي ليست نبرة الرفض لي التي تعودت على سماعها، ترى ماذا تقول لي من خلف الغطاء..؟

Telegram: SOMRLIBRARY

- 2 -

كانت الأم تجلس على أرض غرفة النوم وتتكأ بظهرها على خزانة الملابس، وتمدد رجليها، وتمسح على بطنها وتتكلم بنبرة اعتذار مخلوطة بسحابة دموع خفيفة على وجنتيها تخاطب جنينها الذي يرقد في جوفها.

ولدي العزيز سامحني لأني كنتُ أرفضك دوماً، سامحني لأن جوفي ليس كجوف باقي الأمهات.

أنا أعلم أني أرمي لك بالحزن والأسى، كيف لا ونحن روحين بجسد واحد أعلم أنك شعرت برفضي لك، وشعرت بالعذاب بسببي.

ولكني مجبرة يا بني فأنا أعيش في جوفً أسوء من جوفك بكثير، أنا أرقد في جوف يلفه الخديعة والكره والخيانة.

هل شعرت بالخديعة..؟ هل شعرت بالكذب..؟

هل خانتك أجزائك للدفاع عنك..؟ أنا خانتني يميني على شمالي.

هل رأيت جسدك يغتصب دون أن تحرك ساكناً..؟

هل شعرت بالخيبة من أقرب الناس لك، ورأيتهم يرمونك فالجحيم، ليكونوا في نعيم.

هل ناديت وصرخت وبكيت وأنت تقتل في كل يوم وليس

Telegram: SOMRLIBRARY

لديك من يعينك هل جبنت ورضيت بالذل من أجل أن تعيش..؟ هل..؟ وهل..؟

أنا شعرت وعشت مأساة لا تعد ولا تحصى.

فأنت في جوفً أفضل، على الأقل لديك غطاء يحميك، أما أنا أعيش في جوف بلا غطاء بلا حماية بلا مشاعر، أنا في جوف العراء.

كلنا يا ولدي نعيش في جوف ولكل منا جوفه المختلف، قد نعيش في جوف المال حيث نفني أجسادنا من أجل أن نحصل عليه..

أو نعيش في جوف الجوع حيث يسقط ماء الوجه لأجل ما يسد صراخ المعدة.

أو نعيش في جوف السلطة فنتجبر ونتكبر عن أي شيء تحت سلطتنا.

أو نعيش في جوف الظلم حيث يدمي معاصمنا ولا نعرف الى أين نلتجأ

أو نعيش في جوف القسوة حيث ترى أحبائك يقسون عليك.

أو نعيش في جوف الدين حيث نخاف رجل الدين أكثر من الله.

أو نعيش في جوف الحب حيث نعيش ونموت ونحن نبحث عنه.

أو نعيش في جوف القيد حيث نخاف من قالوا ويقولون.

يا ولدي هذه بعض الأجواف التي تحيط بالجوف الذي أعيش فيه، سامحني أن رفضتك فأنا أتألم أكثر منك.

وضعت رأسها بين ركبتيها وأجهشت بالبكاء...

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 3 ـ

بدأ هاتف الأم المحمول بالرنين...

رفعت رأسها ونظرت الى الهاتف، وراحت تمسح الدموع عن عينيها وتسترجع أنفاسها.

أخذت الهاتف واتكأت مرة أخرى، وما زالت تشهق بدموعها. عاود الهاتف بالرنين، فكفكفت دموعها واستجمعت أنفاسها، وأخرجت تنهيدَ تنين وفتحت الخط وقالت بصوت متحشرج

ـ ألو

ـ ألو..يا حبيبتي.. كيف حالكِ..؟ أعتذر على الاتصال بهذا الوقت ولكني أعلم أن زوجكِ غير موجوداً اليوم.. ولأني اشتقت أليكِ.

ـ ابتسمت ابتسامة صفراء يملأها الحزن والسخرية وقالت

(أها...أشتقت لي...صدقتك)

ـ ألا تصدقين فليسامحك الله، ثم ماذا بكِ، هل كنتي تبكين يبدو على صوتكِ البكاء والحزن، ماذا جرى لكِ..؟ أخبريني..؟

ـ لا تخف لا شيء.

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ لا تخفي علي شيئاً... قولي ما بكِ..؟

ـ وأن أخبرتك ماذا ستفعل..؟ هل ستنتشلني مما أنا فيه..؟

أم أنك ستتهرب كعادتك..؟

ـ أنا لم أتهرب، المهم أخبريني ماذا حدث..؟

نقلت هاتفها الى الكف الآخر ووضعته على أذنها اليسرى وقالت ـ ضربني الحقير يوم أمس، لأني أخبرته، أني لا أطيق العيش معه، وأني سأنزل الجنين.

ـ ماذا..؟ هل جننتِ...؟ كيف تخبريه بذلك..؟ ألم أخبركِ من قبل لا تفعلي هذا، ولما تنزلين الجنين..؟

ـ لا أريد منه طفلاً. وابتسمت ابتسامة يأس وأكملت (وأريد أن أقلل عنك العراقيل، لنكون معاً..أليس كذلك..؟)

ـ ماذا نعم ولكن.. هذا حديث سابق لأوانه، فأنا لستُ مستعد لهذه الخطوة أصبري قليلاً.. ثم أنكِ تعرفين ضرفي.

أجابته بنبرة أختبار (هل ستتخلى عني أسمع بصوتك شيء من التردد والتهرب، وأشم في كلامك رائحة الكذب. أنا سأضحي بكل شيء لأجلك، هذا جوابك لي...؟

ـ أسمعي يا حبيبتي..؟

ـ لا تقل حبيبتي فها أنت تتردد وتريد التملص مني بعد كل ما فعلته أليك..؟ ـ أعرف يا حبيبتي ولكن ليس الوقت المناسب لهذه الخطوة.

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ لماذا..؟

ـ ماذا سأقول لأبي وأمي وهم يعملون عند زوجكِ، وسيطردني أنا أيضاً فأنتِ تعلمين أني أعمل عندهُ.

ـ أتخاف أن تخسر عملك وأنا سأخسر كل شيء لأجلك.. اللعنة عليك.

ـ أفهمي ماذا سيفعل زوجكِ أن أخذتكِ منه.

ـ ماذا تقصد، هل ستتخلى عني..؟ أين وعودكِ لي..؟ بأنكِ ستتخلصين منه ومن احتلاله.

ـ لا لا لن أتخلى عنكِ، فقط أمهليني قليلاً، لكي أكون مستعد، ولدي المال الكافي حتى أستطيع المواجهة.

ـ أيها الحقير أذهب للجحيم.

وأغلقت الهاتف وراحت تشعر بصحراء ما حولها فلا يوجد من يخلصها من ما هي فيه، وراح ضوء الهاتف يشتعل مرة تلوى الأخرى، فكان يعاود الأتصال ولا ترد عليه.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

- 4 -

تعرفت على ما سمي حبيب صدفة، كان يعمل كمحاسب سري لزوجي، ولا أعرف لماذا يعمل في السر.

جاء الى القصر ليراجع الحسابات مع زوجي ولم يكن موجود في وقتها، وكذلك الخادمة كانت مريضة.

وكما هي عادة القدر دائماً يرمي لك بالمشكلة لتحتار بعدها بالحل. رمى أمامي الحب أو المشكلة، لم يكن جميل أنا أعرف لا في الشكل ولا فالمضمون، ولكن يكفي أن يكون مخلصاً.

كنتُ أريد أن أهرب أن أتخلص من زوجي أو قدري الأسود، ورأيت فيه لسذاجتي مخلصاً.

كان ماكراً يوم تطلع بي رآني وكأنه يلتهمني، وفد أحببت التهامه في وقتها.

أدخلتهُ القصر وجلس في الصالة وكانت عيناه تدقق بي، حتى أني شعرت أني قد تعريت أمامه من فرط نظراته لي.

لا اعرف ما الذي جعلني أدخله رغم أن ذلك ممنوع علي، غير أن القدر جعلني أجلس في الصالة حين طرق الباب.

Telegram: SOMRLIBRARY

طوال جلوسي معه لم أتكلم ألا القليل وبين كل حرف يخرج من فمي كنتُ أمسح الندى عن جبيني.

راح يسألني: لم أتوقع أن تكوني بهذا العمر، فأنتِ صغيرة بالنسبة الى زوجكِ.

ـ تحدث أحياناً، فالضرورة الالام.

ـ وهل تشعرين بألم وأنتِ في هذا القصر..؟

ـ ألألم في الداخل والقصر لا يلامس داخلي.

ـ وما في داخلكِ..؟

ـ في داخلي الكثير. لكن هذا لا يهمك وليس شأنك (انتبهت الى نفسي أخيراً).

ـ كيف لا يهمني ومنذ رأيتكِ أصبحتِ تهميني..

ـ أنتبه لكلامك وألا أخبرت زوجي.

ـ لن تخبريه... فلقد أتيت هنا كثيراً ولم أراكِ من قبل، مؤكد أنه يمنعكِ من الخروج.

أصابني شيء من الخوف والخجل والضعف كيف سمحت لنفسي أن أبوح بما في داخلي، ربما لأني كنتُ أبحث عن من أحدثه بعذابي.

أبتسم ابتسامة مكر وأخرج ورقة من حقيبته، كتب عليها رقم

Telegram: SOMRLIBRARY

هاتفه بعد أن أخرج قلمه من قلب سترته وضعها على الطاولة التي أمامي وقال:

ـ غيري قرص تسجيل الكاميرات، وسأعطي بعض النقود لحارس البوابة لكي لا يخبره بمجيئي، وسأنتظر هاتفكِ. وتركني وخرج.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

- 5 -

بقيت في صمتي لا أعرف ماذا أفعل، كيف سمحت له أن يتجرأ، هل رأى حزني، هل أبدو بهذا الضعف والانكسار.

أردت تمزيق الورقة لكن شيئاً في داخلي منعني وصاح بي جربي (فالحياة تجارب) ولم أكن أعلم أن (الحياة أسى)

فها هو سنتين يماطل ويؤجل ويأخذ الكثير من راحتي وضميري الذي لا يصمت جعلني أخون نفسي، وأسرق من نفسي وأعطيه

فقد كنت أعطيه ما يرمي لي زوجي من نقود لقاء ما يمتص من روحي، فقط ليكون مخلصي من سجني.

كم تحملتُ لأجلها الكثير يكفي القلق الذي عشته لأجله وأه من القلق... ذلك الإعصار الذي يرمي في رأسك جيشاً من الزوابع والوساوس فيضطرب أتزانك ويجعلك تخاف من حواسك ومن شعورك، القلق ذلك الشيء الذي يطغي على وجهك فيجعل أفكارك كتاباً يقرأه كلمن حدق فيك. فتسمع كل من رءاك يسألك ما بك..؟ لتصبح رائعاً فاختلاق الأعذار المكشوفة لأن عيناك ستكذب كلما تقول لتفضح لسانك.

Telegram: SOMRLIBRARY

وقد قرأ ما سمي زوجي قلقي الطاغي على وجهي وبدأت شكوكه بي. وأصبحت أخاف من زوجي أن يعرف بالأمر، فقد كنتُ أتخيل ساعة معرفته ماذا سيفعل بي وكانت الكوابيس تطاردني...

ففي أحد الليالي كان يقضيها بقربي ما سمي حبيب وكان زوجي مسافراً. وكان سقف الوهم يصل الى عنان السماء فكنت أرى أن الخلاص من الهم دنيء مني، وأني سأتخلص من عذابي، وأحلامي فالحياة اقتربت، وأني سأحظى ما كنت أتمنى. فدللت ما سمي حبيب ليلتها وراح يأكل كل ما طاب لهُ أن يأكل مني، وكنت منتشيه بغبائي، وأقدم كل ما لدي أمامه مقابل الخلاص مما أنا فيه.

وبينما كنا نجلس ونتسامر وضحكاتي الغبية تعلو سمعت فتح باب الغرفة نظرت وكان زوجي فوق رؤوسنا وبيده مسدس ويرتعش غضباً...!

وراح يطلق رصاصة وقعت بعشيقي وصوب مسدسه ألي وأطلق رصاصة فأفقت من نومي. كان هذا أحد الكوابيس الذي يرافقني دوماً.

وبدأ القلق يزداد ليزداد بؤسي أكثر، وبدأ الشك يكبر عند زوجي، وكم هو مروع الشك بك، ذلك الوحش الذي ينهش بقواك، الذي يجعلك تخطأ حتى لو أردت أن تفعل الصواب ليزداد يقيناً من يشك بك.

فكان زوجي ينظر لي بنظرات غريبة. ويعود مبكراً من العمل أحياناً حتى أنه بدأ يفتش هاتفي المحمول ويحقق بكل أتصال يأتيني، وقال لي ذات يوم (أعلمي أنكِ ستبقين تحت سلطتي ولا تفكري يوماً أن أحداً يمكنه أن يخلصكِ أو يأخذكِ مني، وأن حدث وفعلتها سأمحيكِ وأمحي كل من يرتبط بكِ).

Telegram: SOMRLIBRARY

فلم أجبه بقيت بخوفي وصمتي، فأكمل قائلاً

ـ لماذا تصمتين أجيبيني..؟

ـ وبماذا أجيبك..؟

ـ ناقشيني مثل الناس، أخبريني الحقيقة

ـ لا أريد النقاش فالناس تناقش لكي تخبئ الحقيقة.

ـ وما هي الحقيقة..؟ أشكِ بكِ في محله..؟

ـ قد يكون في محله في خيالي، وليس في الواقع.

ـ يعني تريدين الخلاص مني، أو تفكري بخيانتي. وبعد أن أكمل جملته ضربني تكراراً على وجهي وعاود الركلات في بطني. وأكمل قائلاً(حتى في خيالكِ لن تري الخلاص مني أو التفكير بغيري)

وسحبني من كتفي ورماني خارج غرفة النوم، وأخذ هاتفي المحمول على أثر هذه الليلة لفترة من الزمن.

اضطررت للنوم في غرفة عشيقاته..!

تلك الغرفة التي كنتُ أسمع فيه أصوات ضحكات النساء وهو يقضي معهن ليلة سمر..!

وصوت رقصهن وتآووهن وهن يداعبن بعضهن بعض، فهو ليس له قوة ليداعبهن، مؤكد أنه كان يكتفي بالتفرج.

ولم يسئني الأمر. ما كان يؤلمني تشوه نفسي وخسارة براءتي وكيف أصبح مسكني مأوى للغرباء، حتى بت أنا الغريبة.

Telegram: SOMRLIBRARY

أعيش في منفى وليس بإمكاني الخلاص، وكان اليأس يتمكن مني كل يومٍ أكثر حتى أصبح اليأس ثوبي وشرابي ومؤنسي.

وفي اليوم التالي استعنت بهاتف الخادمة لأخبر ما سمي حبيب بما حدث لي، فكان رده بارداً، حيث أجابني أنه سيتركني مدة من الزمن لحين أن تهدأ الأمور، ولم يكترث للضرب الذي تلقيته لأجله ولقلقي وخوفي من سطوة زوجي.

الفرق ما بيني وبينه، أنه كان يحبني حب الجسد وحب الجسد ينسى فحدوده الجسد، وكنتُ أحبه حب الروح الذي حدوده الكون.

خطأي كنتُ دائماً أبحث عن الهروب لا المواجهة، فقد هربت من أبي لزوجي ومن زوجي الى حبيب لا يحبني، أبحث عن من يخلصني ولا أخلص نفسي.

أصبحتُ أشبه ببلد مفتوح الحدود ينتظر من يحتله ليخلصه من الاحتلال الذي هو فيه.

Telegram: SOMRLIBRARY

- 6 -

أستمر العشيق يكرر الاتصال....

وكان هاتف الأم لا يكف عن الرنين فلم ترد...

ومشت بضع خطوات لتخرج من الغرفة فمرت على المرآة، وعادت لتنظر فيها.

رأت كم هي شاحبة وذبل وجهها حتى أن أجفانها يبست كانت أشبه بأرض بور، وراءت ما فعلته الهموم بها ولمحت في مقدمة شعرها خصلة بيضاء لم ترها من قبل.

وبدأت تحدث نفسها...

كم أحتاج الى ذلك الضماد الذي أسمه (النسيان)..

ذلك القريب على أيامنا الجميلة والبعيد عن أيامنا الحزينة، يقتات على حلاوة الذكريات ويخلف لنا أسوأها.

يهرول النسيان هارباً عن الذكريات الحزينة ويتركها تنخر في عقولنا وعيوننا، لتقضي على أيامنا القادمات.

Telegram: SOMRLIBRARY

نتوسل إليه لنجدتنا من سيل الذكريات فيغظ الطرف عنا لنغرق في همومنا، وحرائقنا.

اليوم لم يبقَ شيئاً، في السابق كان لي أمل ضئيل، كنتُ أنتظر شيئاً ما هو..؟ لست أدري. لكني كنتُ أحسب الحياة لا يمكن أن تبقى هكذا. كنت أنتظر أن يحصل شيئاً ما، يغير حياتي ولكن خابت كل أمالي.

ما عاد بمقدوري أن أواصل العيش هكذا....!

القصر وكل شيءٍ آخر، غياب الأمل، غياب الرجاء.

العيش مع محتل كما سمي زوجي أو مع مخُلص كاذب مثل ما سمي حبيب العيش مع الخداع والوهم.

أريد أن أستريح، ولكن كيف والى أين ألتجئ وأنا أعيش في جوف الخداع والوهم والعذاب.

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 7 ـ

سمعت ضربات المطر على زجاج النافذة، فبدأ وجهها يشرق وكأن سحابة من السعادة اجتاحتها، هرعت الى النافذة وفتحتها. وراحت تقول في سرها وحبات المطر تداعب وجنتيها.

آه كم اشتقتُ إليك صديقي أيها المطر وكم مللت قيض الصيف، وأه منك كم تشعل الحنين في داخلي. يا نافذتي الى الماضي.

ها أنا أرى تلك الطفلة التي كانت أنا، أرى كيف كنت ألعب تحت قبلاتك المائية، وكم كنتُ أرى المستقبل مفعماً بالسعادة....

سأحدث طفولتي: صغيرتي أنا مستقبلك لا سعادة على هذه الأرض. فتجيبني: كيف فالمطر هو إشاره السعادة..!

لا يا صغيرتي المطر دموع وبكاء السماء حزناً على أهل الأرض.

صغيرتي لا تحلمي وأنسي أحلامكِ البريئة فأنا مستقبلكِ لا جديد ولا تغير سيحدث، سوى أنكِ ستبدئين بخسارة الأحلام وتعيشي في ظلام الواقع، لا تبكي فأحلامنا وأمالنا هي كذبة العيش وهي خدعة الأيام...! هي وهمنا وجرعة المخدر التي تنسينا مرارة الحياة.

Telegram: SOMRLIBRARY

ها أنا أرى أمي وهي تسحبني لتدخلني الى خربتنا، أه كم أشتاق لغبار عتبة باب الخربة ولذلك الطين الذي صنعت منه ألعاباً وتلالاً من السعادة وهدمها الواقع....

الواقع ذلك الكهل المرعب الحاقد علينا لأننا تركناه لبشاعته وذهبنا الى وهمنا الوردي. ذلك الذي يمتص أيامنا ولا يرتوي ويهدم أحلامنا وهو يضحك على براءة أمنياتنا، ويتوعد بنا أن يذقنا مرارة الحنظل ويسقينا كؤوس من الدمع. الذي يطفئ الشموع التي نشعلها ليحبسنا في جوف الظلام، ليعمينا وليرينا أننا لن نهرب منه مهما أردنا أو حاولنا الخلاص، سيمسك على رقبة أحلامنا ليقطعها. لننجب بدورنا أحلاماً جدد ليقطعها بدوره وملأ فمه ضحكة سخرية على سذاجتنا.

كانت أمي تقول لي أن المطر بشرى خير، قد لا تكون هذه البشرى لي قد تكون لجنيني.

قطع عليها حديثها مع المطر وذكريات، صوت رنين الهاتف مجدداً، أغلقت النافذة وذهبت لتمسك بهاتفها، كان ما سمي حبيب يطلبها وبقي يزيد إلحاحاً في اتصالاته فتحت الخط وقالت

ـ ماذا تريد...؟

ـ أسمعي أنا في باب القصر أطفأي الكاميرات وسأعطي الحارس النقود ليدخلني.

ـ هل جننت...؟ لا أريد أن تدخل ولا أريد أن أراك.

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ أفعلي ما أقول.. وإلا سترين شيئاً لن تحسدي عليه.

ـ ماذا ستفعل.. أيها الحقير..!

ـ سأفضحكِ.. وسأريكِ شيئاً لم تريه من قبل.

ـ لن تدخل وأفعل ما شئت.

ـ ستندمين أذا لم أدخل القصر الأن...

ـ أيها الحقير النذل، أتريد استغلالي أكثر، بعد كل ما فعلت لأجلك.

ـ أفعلي ما قلت لكِ ولا تتكلمي أكثر.

تنهدت وبدأت تبكي وراحت تلوم نفسها، كيف أرخصت مضجعها ليدوسه من هب ودب.

راحت تتذكر كلام العراف ونصائحه كيف تجاهلت كلامهُ، وتذكرت حين قال لها (لا تفرحي بمن يمد لكِ يد العون فهو قاتلكِ) فعلاً ظننت أنه مد يد العون لي وسينقذني ويخلصني.

أه...كم انا حمقاء ويا لبلاهتي، كل ما حولي لا يحميني حتى حارس القصر.

أصبحت فريسة في صحراء والضباع تزاحموا عليها، فكلاً ينهش من جهة، وحتى جسدي وعقلي خانني وخدعني فإلى أين أذهب..؟

دخل القصر بعدما فعلت ما أمرها بهِ، كانت تقف وكل شيء فيها يبكي وأصابعها تتشابك من الأضطراب وعيناها تفيض ندامة وحزناً، لمَ؟؟ أوصلت نفسها الى هذا الحال.

Telegram: SOMRLIBRARY

أمسك بذراعها وراح يسحبها بقوة ليصعدها السلالم، أخبرته أن يصبر قليلاً لتهدأ من بطشهُ وكبح جماحه، لكن دون جدوى.

راح يسحبها من ذراعها بقوة، وهي تحمي بطنها ومن يسكن فيها من الاهتزاز وتشعر من الخجل أمام جنينها، كيف كانت أماً بهذا السوء، أخذت تخطو للصعود وتنظر الى بطنها وتبكي على حال من يسكن جوفها.

كانت أحد الملائكة تهمس في أذن العشيق لتودد قلبه، لكن قلبه كان مغلقاً بجدار لا تنفذ الرحمة فيه.

وكأن الرب ينظر صنعه وتمرده فيغضب على طينه، كيف تحول ناراً وكيف أصبح شراً لا خيراً.

كيف أصبح الأنسان بلا رادع ولا يخاف أن يكسر الشرائع ويغدو بهذه الحيوانية ليطفئ جوهرة رأسه.

وكأن الحساب لا أهمية له ونسي الأنسان عواقب الشرور والغرور، فأعتز بنفسه وكأنه لا يدان.

كيف نسيَ أنه يعيش كل يوم على حافة الموت وإن الحياة أسرع من شرب فنجان قهوة.

وإن أمل البقاء هو رغيف الحمقى، وقوت المخطئين الهاربين من السماء، الذين يعيشون على صدى الجاهلية وأصنام الأبدية.

نسوا أن محطة النزول دائماً قريبة ولا يمكن الوصول الى ما بعد

Telegram: SOMRLIBRARY

المحطة مهما حاولوا وجاهدوا، التراب سينهمر وسيغطي تلك الوجوه المشرقة..الباسمة..الآملة.. ولا بد من الأفول مهما أرادوا...

نسيان الغروب لا يعني أن الغروب لن يأتي..

والتعلّق على حافة المنحدر لا يمكن أن يطول...

والريح لا يمكن أن تبقى عاصفة لا بد لها أن تهدأ...

لابد للقصيدة أن تنتهي مهما تطول أبياتها...

أغماض العين لا يعني العمى...

والسقم لن يبقى مهما تعلل صاحبهُ...فالحياة سقمٌ لا يشفى إلاّ بالموت.

فنحنُ أصداء أصوات والصدى لا بد أن ينتهي مهما علت أصواتنا.

أنقاض نحنُ وكذباً رأينا أنفسنا قصور، أشلاء وأوهمونا بأنها أجساد.

الربيع أقصر.. والظلام أوحش فهل فكّرنا بالظلام القادم...؟

هل مسحنا الغبار لنبصر..؟

حياتنا شرارةٌ..حرائقٌ... رماد..فلمَ الغلو..

أدخلها غرفة النوم، ودفعها الى السرير.. وبدأت تتذكر أول ليلة أحتل بها جسدها زوجها، ولم يختلف شيئاً كثيراً، الا شعور من يرقد في جوفها.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 8 ـ

أما ما أشعر به الآن لم يستطع إبهامي ويداي ولا حتى جسدي كله ان يلهيني.

أشعر بقذارة ملئت رائحتها أنفي، أشعر أن أجزائي توقفت عن الحركة، وكأني أرقد في جوف الشيطان، فقد أشمئزت روحي من جسدي.

شبح الظلام لف الجوف بالكامل، ظلاماً لم أشهده من قبل...!

ظلاماً بطعم نتن ترى ما الذي يحدث..؟

وماذا فعلت أمي..؟ ليكون هكذا حالي أنا..

أنا اللاشيء.ِ شيئاً

أنا الفراغ... الممتلئ

أنا الغائب.. الموجود

أنا الأعمى..البصير

أنا الصامت...الصارخ

أنا الظالم... المظلوم

أنا الكائن المنسي المرمي منذ زمن، ينساب لي الألم والعذاب دونما سبب لا أعلم ماذا يدور من حولي..ولما أنا بالذات يذوق المرار كل يوم.

Telegram: SOMRLIBRARY

أهي لعنة تصاحبني منذ الأزل..؟

أم هي خطيئة أمي تزوجت بقدرٌ أسود.

أنا الكائن الميت على قيد الحياة.

أنا الذي ينام على حزن ويصحى على عذاب.

أخبروني ما الذي يحدث...؟ أو لا تخبروني فما عدت أستطيع البقاء أكثر، فبراءتي ستختفي وستخالط روحي الشيطان.

صاحبي الأمل أرجوك أنتبه للذين يرقدون بقربي..

فأغسل وجه ظلم ليكون حلم...، وأمسح على وجه خوف ليكون حب..، وداعب وجنتي قسوة لتكون غنوة..، وأجعل من حزن يكون لحن.

ولأكون ناقة[1] عصري أموت بلا ذنب، لكي يكون جوف أمي أجمل لأخوتي القادمون بعدي.

(1) ناقة النبي صالح (ع)

Telegram: SOMRLIBRARY

- 9 -

بعد أن أحتل جسدها خلفها أرض مليئة بالدمار..

كانت الأم ممدَدة على وجهها، وتجهش بعبرة الندم لما فعلت بنفسها، شعرت برطوبة عند فخذيها وشعرت بألم في خاصرتها.

في بادئ الأمر لم تكترث، ولكن بعدها زاد شعورها بتلك الرطوبة، انقلبت على ضهرها، ونضرت الى أسفلها فرأت أن هناك دم نزل وما زال ينزل منها..!

ذهلت مما ترى كانت أشبه بمن يرى ثعبان في سريره.

شعرت ببرد يتسلل الى جسدها، بدأت ترتجف حتى أنها سمعت ضرب أسنانها وكأن الشتاء لفها، كانت أشبه بزهرة وسط الثلج.

بدأت شفتيها تأخذ زرقة السماء، لسانها ألتصق في أعلى فمها، وجمدت دموعها على خديها.

ازداد الوجع في نفسها وفي جوفها...! شعرت أن قلبها يفارقها وأحشائها تتساقط منها...!

نظرت الى السقف تناشد السماء توسلاً في عينها، تطلب الرحمة، الغفران المعهود.ولكن إحساسها بذنبها منعها من فكرة الرحمة لمثلها.

Telegram: SOMRLIBRARY

مدت يدها بعد عناء كبير وأخذت هاتفها وراحت تطلب الخادمة، لتوقظها من النوم لتنجدها.

لم تستطيع أن تخبرها، فهرعت الخادمة بعدما سمعت تنهداتها على الهاتف، وحين دخلت رأت الدماء، راحت تصرخ فطلبت الإسعاف، نقلت الى المشفى. وكان سيل الدماء لا ينتهي أشبه بانكسار سد.

Telegram: SOMRLIBRARY

ـ 10 ـ

أشعر بشبح الموت يدور حولنا أنا وأمي...

ويهمس بأذني يخيرني بيني وبين أمي فأجبته:

((صديقي أيها الموت خذني فأحلامي الأرض لا تستوعبها...!

خذني فهذا المكان لا يناسبني...

خذني الى ذلك المعشوق الذي لا يخذل من يعشقه، ولا ينسى من ذكره. خذني الى حيث الحب الذي لم يلوثه من أدعوا الحب هنا.

خذني لكي لا أكون مثلهم أعيش في جوف الذل.

خذني وأخرج لي جناحين لأطير بهما الى السماء، فالأرض تلوثت، ولا يمكن للملائكة العيش فيها))

ما لا نعرفه يجب إلا نخافه...فالموت كأسٌ بعد الظمأ الطويل...

ها أنا أرى أمي تضع جسدي في حضنها وتبكي ألم فراقي.

ولستُ أدري... هل سيترك أمي قدرها الأسود..؟

أم سينتظر جوفها مرة أخرى..؟

لستُ أدري..؟

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

الفهرس

الإهداء..... 5

قبل البدء..... 9

الفصل الأول: بداية الجوف..... 11

الفصل الثاني: ما قبل الجوف..... 27

الفصل الثالث: نهاية الجوف..... 63

Telegram: SOMRLIBRARY

أحمد دهر

الجوف

نسيان الغروب لايعني إن الغروب لن يأتي... والتعلق على حافة المنحدر لايمكن ان يطول ... والريح لايمكن إن تبقى عاصفه لابد لها إن تهدأ... لابد للقصيدة ان تنتهي مهما تطول أبياتها ..غمض العين لايعني العمى ..والسقم لن يبقى مهما تعلل صاحبه... فالحياة سقماً لايشفى ألا بالموت فنحن أصداء أصوات والصدى لابد ان يصمت مهما علت أصواتنا .أنقاض نحن وكذبا رأينا انفسنا قصور أشلاء وأوهمونا بأنها أجساد الربيع أقصر ..؛ والظلام أوحش فهل فكرنا بالظلام القادم ؟هل مسحنا الغبار لنبصر ..؟حياتنا شرارة... حرائق ...رماد... فلمَ الغلوُ ..؟

Designed by Studio

ISBN 978-1-7732209-4-9

لبنان - بيروت / الحمرا
تلفون: 961 1 751055+ / 961 1 541980+
daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com

Telegram: SOMRLIBRARY